المقدمة

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبي بعده سيدنا محمد وعلى آله وصحبه ومن نهج نهجه واتبع ملته واستمسك بكتاب ربه وسنته إلى يوم الدين.

وبعد،،

فنظراً لحاجة العمل الدعوي إلى القواعد الضابطة والمنظمة للممارسات الدعوية النظرية والتطبيقية في ميادين الدعوة المختلفة، ونظراً للضرورات الفكرية التي يفرضها الواقع الفكري المعاصر، حيث التحديات الكبرى والمهام الجسام المفروضة على الدعاة إلى الله تعالى في معالجة إشكالياتها، ومحو آثارها السلبية، ونظراً لأن المعالجات لقضايا الدعوة المنهجية تفتقد كثيراً من التصعيد والضبط في أطر منهجية علمية تحكم صياغة المنظومة الدعوية والداعي والمدعو والمدعو إليه، والمدارس والمؤسسات، والوسائل والقنوات حتى تفرز في النهاية عملاً مسئولاً متميزاً وفق مبادئ منهجية فكرية ضابطة وهادية.

ونظراً لأن الساحة الفكرية تنطوي الآن على خلط ولبس وتداخل في تحرير المفاهيم والرؤى المنهجية لأنها مازالت بكرة وخصبة، رأيت أن من الواجب الرسالي والعلمي المنوط بي أن أتقدم بهذه الأطروحات المنهجية بغية الإصلاح الفكري والعلمي والنهوض بالواقع الدعوي على أنها تمثل

انطلاقة لرؤى منهجية أخرى توسع من مفاهيمها ومفرداتها وقضاياها، أو تضيف إلى ما وفقنا الله تعالى إليه من رؤى وأفكار وتصورات، انطلاقاً من مسئولياتها وواجباتها الدعوية، وأملاً في تصحيح المسار لدى الأطياف والتيارات والاتجاهات الدعوية الموجودة على الساحة الدعوية، ودعماً للأزهر الشريف كمؤسسة دعوية رائدة في العالم الإسلامي. وفق الله قادته المخلصين وعلمائه المهديين إلى ما فيه الخير للدين والدنيا والآخرة.

ثم أتقدم بهذه الدراسة المنهجية بعنوان: « **منهج الدعوة الوصفي دراسة تأصيلية** ».

الأستاذ الدكتور

أحمد إسماعيل أبو شنب

أستاذ الدعوة والثقافة الإسلامية

بكلية أصول الدين والدعوة الإسلامية بطنطا

جامعة الأزهر

منهج الدعوة الوصفي

« دراسة تأصيلية »

مفردات البحث:

تتمحور دراسة هذا المبحث حول المحاور التالية:

١- مفهوم منهج الدعوة الوصفي.

٢- قواعد منهج الدعوة الوصفي.

٣- أساليب منهج الدعوة الوصفي.

المطلب الأول

مفهوم منهج الدعوة الوصفي وقواعده

أولاً: مفهوم المنهج الوصفي:

أعني بمفهوم المنهج الوصفي «وصف التكوين الخلقي والسنن الكونية والظواهر الطبيعية والأحداث التاريخية».

وأقصد بوصف التكوين: وصف البنى التكوينية للخلق ويدخل فيه وصف الإنسان والكون وما فيه من مخلوقات وكائنات.

وأقصد بوصف السنن الكونية والظواهر الطبيعية: وصف الكم والكيف والخصائص السينمائية.

أما وصف الأحداث التاريخية فأقصد بها إبراز الخصائص ووصف وقائع الحدث، على أن الوصف يتنوع إلى كمي وكيفي ونوعي وسينمائي «وصف الخصائص».

ثانياً: قواعد منهج الدعوة الوصفي:

هناك عدة قواعد وضعتها للمنهج الوصفي باعتباره منهجاً دعوياً لا منهجاً تجريبياً بحتاً، على أن التوظيف الدعوي يقتضي هذا. فثمة فرق بين التجريب والنظر من حيث الجوهر، وإن كان النظر طريقاً للتجريب.. فضلاً عن كونه أي «التوظيف الدعوي للمنهج الوصفي التجريبي» متعلقاً بنصوص مصدرية كنصوص القرآن الكريم والسنة الشريفة.

ومن هذه القواعد – فيما أرى – ما يلي:

١– فقه مفردات اللغة وطرائق البيان.

٢– فهم مساقات النصوص المصدرية.

٣ – معرفة أسباب النزول وورود الأحاديث النبوية.

٤ – فهم مقتضيات الحكمة الإلهية.

٥ – القياسات العقلية والحسية.

٦ – مراعاة مبدأ الثبات والإمكان والرصد.

أولاً: فقه مفردات اللغة وطرائق البيان في القرآن الكريم:

إن التصوير البياني للقرآن الكريم للآيات الإنسانية والظواهر والسنن الكونية، وحتى تقريب الغيب اللامنظور إلى العقول بأساليب تصويرية حسية عن طريق التشبيه والتمثيل والاستعارات والكنايات، وكذا تصوير إقبال المدعو على قبول قضايا الدعوة والإحجام عنها بصور تمثيلية حسية تقرب المفاهيم الدعوية إلى العقول في صورة بيانية أخَّاذة بالألباب مستميلة للوجدان حاملة النفوس الإنسانية إلى الاستجابة لها والعقول إلى الإقرار بها.

ومن أمثلة ذلك قول الله تعالى: ﴿ وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱلَّذِىٓ ءَاتَيْنَٰهُ ءَايَٰتِنَا فَٱنسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ ٱلشَّيْطَٰنُ فَكَانَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ ﴿١٧٥﴾ وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَٰهُ بِهَا وَلَٰكِنَّهُۥٓ أَخْلَدَ إِلَى ٱلْأَرْضِ وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ ۚ فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ ٱلْكَلْبِ إِن تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَث أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَث ۚ ذَّٰلِكَ مَثَلُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا ۚ فَٱقْصُصِ ٱلْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١٧٦﴾ سَآءَ مَثَلًا ٱلْقَوْمُ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَأَنفُسَهُمْ كَانُوا۟ يَظْلِمُونَ ﴿١٧٧﴾ مَن يَهْدِ ٱللَّهُ

فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِى ۖ وَمَن يُضْلِلْ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿١٧٨﴾ وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ ۖ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ ءَاذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَآ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ كَٱلْأَنْعَٰمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْغَٰفِلُونَ ﴿١٧٩﴾ ﴾[1].

وقوله الله تعالى في وصف حال الكافرين: ﴿ صُمٌّۢ بُكْمٌ عُمْىٌ فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ ﴿١٨﴾ ﴾[2]، وقوله تعالى: ﴿ صُمٌّۢ بُكْمٌ عُمْىٌ فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴾[3]، وقوله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا صُمٌّ وَبُكْمٌ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ وَقَالُوا۟ وَقَالُوا۟ .... ﴾[4]، وقوله تعالى: ﴿ إِنَّ شَرَّ ٱلدَّوَآبِّ عِندَ ٱللَّهِ ٱلصُّمُّ ٱلْبُكْمُ ٱلَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ ﴿٢٢﴾ وَلَوْ عَلِمَ ٱللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَّأَسْمَعَهُمْ ۖ وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّوا۟ وَّهُم مُّعْرِضُونَ ﴿٢٣﴾ ﴾[5]، وقوله تعالى: ﴿ فَإِنَّكَ لَا تُسْمِعُ ٱلْمَوْتَىٰ وَلَا تُسْمِعُ ٱلصُّمَّ ٱلدُّعَآءَ إِذَا وَلَّوْا۟ مُدْبِرِينَ ﴿٥٢﴾ وَمَآ أَنتَ بِهَٰدِ ٱلْعُمْىِ عَن ضَلَٰلَتِهِمْ ۖ إِن تُسْمِعُ إِلَّا مَن يُؤْمِنُ بِـَٔايَٰتِنَا فَهُم مُّسْلِمُونَ ﴿٥٣﴾ ﴾[6] وثمة آيات كثيرة في القرآن الكريم سنسوقها في معرض الاستدلال على سائر مفردات منهج الدعوة الوصفي.

على أن دلالات الوصف في الآيات الكريمة السابقة توضح بصورة

---

(١) سورة الأعراف: ١٧٥ – ١٧٩.

(٢) سورة البقرة: ١٨.

(٣) سورة البقرة: ١٧١.

(٤) سورة الأنعام: ٣٩.

(٥) سورة الأنفال: ٢٢، ٢٣.

(٦) سورة الروم: ٥٢، ٥٣.

دقيقة معتمدة على الحس الظاهر لإثارة وسائل الإدراك لدى المدعو، وذلك لإدراك عناصرها الوصفية عن طريق التأمل الفاحص والنظر الثاقب، ومن حيث مطابقات الوصف المعنوية مع أحوال المدعو المعارض المكذب والمنكر والكافر والضال.

وثمة في مقابل تصوير هذه الأحوال في هذه اللآيات الكريمة آيات أخرى لم نذكرها هنا – ربما نسوق طرفاً منها في موضع آخر من هذا المبحث – تبين الصور الوصفية الحسية لحال المؤمنين المهتدين الراشدين المتقين المنيبين إلى ربهم المخبتين له.

ويستلزم لفهم دلالات الوصف في هذه الآيات وتلك معرفة مفردات اللغة وطرائق البيان في القرآن الكريم وفي السنة الشريفة التي نورد بعض دلالات رواياتها الوصفية فيما يلي:

أما السنة الشريفة فقد وردت فيها العديد من الروايات التي يمكن الاستدلال بها على دلالات المنهج الوصفي، ومنها على سبيل المثال ما روي عن الرسول (ﷺ) في وصف حال الإنسان عند نومه وملازمة الشيطان له (يعقد الشيطان على قافية رأس أحدكم إذا هو نام ثلاث عقد...)[1].

وفي هذه الرواية وصف رسول الله (ﷺ) حال الشيطان المتربص بالإنسان حتى عند نومه إذا هو نام، تلك الحال الشيطانية من العقد على قافية رأس الإنسان، وهي كناية عن شدة وسوسته للإنسان وصده عن سبيل

(١) أخرجه البخاري في صحيحه: باب عقد الشيطان على قافية الرأس إذا لم يصل جـ ٢ ص ٥٢، ح رقم (١٠٧٤)، تحقيق محمد زهير بن ناصر الناصر – دار طوق النجاة، ط: الأولى ١٤٢٢ هـ.

الله وطاعته لكي يصبح خبيث النفس كسلان عن أداء الطاعات وفعل الخيرات وترك المنكرات، كما يصف حال الإنسان السوية من التوكل على الله تعالى والتقرب إليه بالطاعات ليتخلص من عقد الشيطان.. وبهذا يقرب الرسول (ﷺ) وصف أفعال تلك القوى الشريرة الغيبية بأوصاف ملموسة محسوسة لتقريبها إلى الحس الظاهر الذي يدركه الإنسان بوسائله الإدراكية وبتعقله بقوى إدراكاته العقلية.

ثانياً: فقه مساقات النصوص المصدرية.

إن فهم مساقات النصوص المصدرية، أي فهم أسباب نزول الآية الكريمة في إطار السياق العام.. السابق واللاحق لوضعها في النسق القرآني يعمق من إدراك قيم المنهج الوصفي في القرآن الكريم، ويساعد على فهم قضايا السياق الدعوية في إطار الوصف الخاص في الآية وربطه بالآيات السابقة واللاحقة.

ولا مرية أن غياب فقه هذه القاعدة عن دراسة الوصف في القرآن الكريم بصورته الخاصة والعامة عن كل من الداعي والمدعو يفقدهما القدرة على استيعاب القضية الوصفية في القرآن الكريم بصورة دقيقة وكاملة، ويفك – في الذهن – هذا الارتباط القوي بين آيات السياق، يفقد الناظر فهم جماليات الاتساق العام والوحدة الموضوعية لآي الذكر الحكيم، مما يؤثر سلباً على فهم معانيه ودلالاته السامية ومقاصده العقدية والتشريعية والأخلاقية اللازمة لترسيخ الاعتقاد وانتظام مسالك التعبد لله تعالى رب العالمين.

ومثال ذلك النظر في دلالات الآيات السابقة في إطار ما قبلها وما

بعدها من دلالة السياق في إطار تصحيح مسار الاعتقاد لدى المدعو.. إذ أننا لو نظرنا إلى الآية وحدها منتزعة من سياقاتها منعزلة عنها لن نستطيع فهمها بصورة دقيقة وكاملة، وإنما يكون فهمنا لها مبتوراً ومنقوصاً لأننا قطعنا وشائج الصلات القوية والروابط المتينة بينها وبين السابق واللاحق من دلالات السياق، وهذا ينتظم كل ما ذكرناه من الآيات السابقة، وبدون هذا المعيار الدقيق للتدبر والإدراك المعرفي يفقد الوصف قيمه الدلالية في أذهاننا.. لا باعتباره كائناً في مظانه، لأنه ناشئ عن قصور الإدراك، أي عن قضية خارج إطار النص القرآني ومضامينه الدلالية، وليس قصوراً نابعاً من النص الكريم ذاته، فحاشا لله تعالى أن يتصف قوله بذلك.

مثال توضيحي: الآية محل الدراسة:

ومثال ذلك دلالات الوصف الباهرة في قول الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ بِٱلْقِسْطِ شُهَدَآءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ أَوِ ٱلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ ۚ إِن يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَٱللَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَا ۖ فَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلْهَوَىٰٓ أَن تَعْدِلُواْ ۚ وَإِن تَلْوُۥٓاْ أَوْ تُعْرِضُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴿١٣٥﴾﴾(١).

(١) سورة النساء: ١٣٥.

الآيات التي قبلها في السياق:

ونركز هنا على تذييلات الآيات السابقة لها أيضاً على النحو التالي:

﴿... وَإِن تُصْلِحُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾، ﴿... وَإِن تَكْفُرُوا۟ فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ غَنِيًّا حَمِيدًا ﴾، ﴿وَلِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا ﴾، ﴿إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ أَيُّهَا ٱلنَّاسُ وَيَأْتِ بِـَٔاخَرِينَ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ ذَٰلِكَ قَدِيرًا ﴿١٣٣﴾ مَّن كَانَ يُرِيدُ ثَوَابَ ٱلدُّنْيَا فَعِندَ ٱللَّهِ ثَوَابُ ٱلدُّنْيَا وَٱلْـَٔاخِرَةِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ سَمِيعًۢا بَصِيرًا ﴿١٣٤﴾﴾[1].

الآيات التي تليها أي الآية « محل الدراسة » في السياق: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ ءَامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلَّذِى نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِن قَبْلُ ۚ وَمَن يَكْفُرْ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا ﴿١٣٦﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ثُمَّ كَفَرُوا۟ ثُمَّ ءَامَنُوا۟ ثُمَّ كَفَرُوا۟ ثُمَّ ٱزْدَادُوا۟ كُفْرًا لَّمْ يَكُنِ ٱللَّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ سَبِيلًۢا ﴿١٣٧﴾ بَشِّرِ ٱلْمُنَٰفِقِينَ بِأَنَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٣٨﴾﴾[2].

دلالات المنهج الوصفي في مجمل الآيات:

أ- دلالات المنهج الوصفي في الآية محل الدراسة:

١- وصف أساس الحكم والشهادة بين الناس.

* الحكم بالعدل والقسط

---

(١) سورة النساء: ١٢٩ – ١٣٥.

(٢) سورة النساء: ١٣٦ – ١٣٨.

* وصف مبنى الحكم يتمثل في إقامة الشهادة لله تعالى.

* وصف الحالات النفسية التي تصد عن العدل في الحكم وإقامة الشهادة لله تعالى في ساحات القضاء بين الناس.. فقد وصف القرآن الكريم تلك الحالات النفسية الخطيرة التي تهدد قيم العدل والشهادة وتصويرها تصويراً حسياً ظاهرياً ملموساً بقصد إبراز عوامل الصدود عن الحق من إطارها المعنوي المجرد الذي يأسره الوجدان الفاسد، ويطويه فساد الذوق الخاص والعام الكائن في أعماق النفس ولا يطلع عليه أحد إلا الله تعالى، كهوى النفس الصادَّ عن الإذعان للحق، والآثر الناتج عنه والذي يتردد في جنبات النفس ليملأها بصور المداهنة والممالأة المفضية إلى المجاملة والنفاق، والتنصل من مسئولية إقامة العدل بين الناس. وقد مثل القرآن الكريم ذلك بصورة وصفية حسية ملموسة لإبراز هذه المخالجات النفسية والخواطر الوجدانية الفاسدة بـ « اللي » تارة «الإعراض» تارة أخرى.. والصورة الحسية الظاهرة للللي وصف الصادَّ عن الحق بمن يلوي ورقة مكتوبة من صفصة واحدة على ظهرها التاريخ ليستر ما بها كي لا يراها الناظرون.. فمن يلوي الحق في نفسه لا يريد إظهاره للناس بهدف طمسه وإظهار نقيضه. أما الصورة الوصفية الحسية للإعراض تتمثل في إدارة وجه الإنسان للحق وإعراضه عنه ونبذه وراء ظهره وطمسه في نفسه كي لا يطلع أحداً عليه.. وفي الصورة الوصفية الحركية الحسية لكل من «أللي» و «الإعراض» كناية عن عدم إقامة العدل. وهما نزوعان نفسيان فاسدان يدلان على فساد الطوية وخبث النية.

* وجاء التعبير القرآني كونوا قوامين لله شهداء بالقسط تذكيراً قوياً للناس

في ميادين القضاء ليقطع كل هواجس الأثرة والأنانية وفساد الخواطر والذوق والنزوع النفسي المارق الصاد عن إقامة العدل.. فالعدل « قيمة إلهية » و« شرعة ربانية » وهي « قسط بين الناس » في الميزان وعدل في كفتيه كمن يزن الموزون بالموازين.. ما أعظمها من شرعة، وما أعظمها من أوصاف تستخرج من النفس مخبوء الصدور وتبرزه إلى حيز الوجود بصورة حسية ظاهرة لينكرها العادلون، ويبين فسادها الصالحون. وطالما أن القضية لله تعالى فليتحر كل فيما يقضي وجه الحق ويقصد وجه الله تعالى فيه. أما أن يعرض عن هذا ويبدل شرعة الله فيزن الحق بالباطل والباطل بالحق مدلساً مخادعاً غاشاً خائناً لأمانته فتلك مفسدة نجمت عن حكم قصد به الهوى والزيغ ولم يقصد به وجه الله تعالى.

* وقد جاء فعل الأمر بإقامة العدل « كونوا قوامين » بصيغة المبالغة، أي « فعَّالين » وليس بصيغة « قائمين » على وزن « فاعلين » جاء قطعاً لكل صور الميل عن الحق والتقصير في تحري وجوهه قاطعاً لكل صور الانفعالات الوجدانية والنزوعات النفسية.

* كما جاء قول الله تعالى: ﴿وَلَوْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ أَوِ ٱلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ﴾ متضمناً دلالات نفسية في تصوير أولويات الميل عن فساد الذوق في النفس البشرية، فالإنسان يحب نفسه أولاً، ثم والديه ثانياً، ثم الأقربين ثالثاً.

* وهنا يضع الإله الملِك ميزانه الإلهي ليقطع في النفس – إن صدقت في توجهها – كل ميل عن الحق فقال تعالى: ﴿فَٱللَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَا﴾ لأنكم لستم أرأف ولا أرحم بالخصمين من الله تعالى.

* وأخيراً يأتي تذييل الآية الكريمة ليستخرج مخبوء النفوس ولينذر القائم بالعدل بين الناس بأن الله تعالى مطلع على مخبوء الصدور عليم بمخالجات الخواطر لوجدان الناس في ساحة القضاء ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرًا﴾.

* وفضلاً عن ذلك فإن الآية وقعت بين تذييلين.. تذييل الآية السابقة ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ سَمِيعَۢا بَصِيرًا﴾ وهذا التذييل في الآية محل الدراسة ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرًا﴾ ما أروعه للذات العلية ولا يصف ذاته بحق إلا الله تعالى، إنها صفات السمع والبصر والـ « خبير » تشمل وصفاً إلهياً ربانياً دقيقاً لكل نزوعات النفس البشرية القولية والحركية والوجدانية، فإلى أين تذهبون أيها الظالمون؟! وإلا ما تميلون أيها المائلون؟!، وعما تعرضون أيها المعرضون؟! فالله أولى بعباده منكم وهو الحليم بهم شرع لهم بحلمه وعلمه ولطفه ما يصلحهم.. فلا تفسدوا في الأرض بعد إصلاحها وادعوه خوفاً وطمعاً.

ب – دلالات المنهج الوصفي في تذييلات الآيات السابقة لهذه الآية:

جاءت جملة التذييلات في الآيات السابقة لتمهد لشرعة الحق « القوامة بين الناس بالقسط وإقامة الشهادة لله تعالى في الآية محل الدراسة » ومن هذه التذييلات الأخاذة بالألباب السليمة من الشطط، وبالفطر السليمة من الزيغ، مهذبة إياها ماحية عنها عوارض الخبث والتدنيس، مذكرة بصفات خالقها وبارئها.. وإليك هذه التذييلات:

﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ وردت في قضية العدل بين النساء وقوله

تعالى: ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ وَٰسِعًا حَكِيمًا﴾ وردت في الحكم بين النساء « تفريقا »، وقوله تعالى: ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ غَنِيًّا حَمِيدًا﴾ وردت في تقوى الله وعدم الكفر به.. وقوله تعالى: ﴿وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا﴾ وردت في ملك الله.. وقوله تعالى: ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ ذَٰلِكَ قَدِيرًا﴾ وردت في قادرية الله تعالى على إهلاك الناس بعدم إيمانهم.

والنسيج الدلالي الوصفي الممتد عبر ثنايا دلالات الوصف في الآيات الكريمة السابقة جاء متسقاً مع دلالات الوصف في الآية الكريمة « محل الدراسة » حيث إن الله تعالى يذكر بأنه غفور رحيم لمن أصلح واتقى، ومن كلا الزوجين، وإن تفرقا فهو تعالى واسع حكيم، وغني عن خلقه لا يضره تعالى كفرهم ولا تنفعه معصيتهم، فهو تعالى الغني عنهم الحميد على ما وهبهم ابتداءً، وهو الوكيل في ملكه.. القادر على إهلاك عباده إن نكصوا بعد إيمانهم، وهو سميع بصير بمن أراد فضله والمزيد من عطائه.. وليحذر الظالمون من أن يستمروا في ظلمهم في القضاء، وليقطع العادلون عن نفوسهم الميل والزيغ فهو خبير بما يفعلون.

ما أروع هذا النسج الدلالي الذي تنتظمه هذه الصفات الإلهية والتقاطع الدلالي الممتزج بآي القرآن الكريم مع اختلاف موضوعاتها، لكن وشائج الترابط المعنوي بينها لا ولن تزال قائمة إلى يوم الدين.

ج – دلالات المنهج الوصفي في تذييلات الآيات اللاحقة لهذه الآية محل الدراسة:

لم يقطع الانسجام والتماذج الدلالي وما كان لعقده المنضود أن ينفرط، فلم تزل شارات هذا الانسجام والتماذج منبثة في ثنايا الآيات السابقة وهذه التذييلات في الآيات اللاحقة عبر الآية محل الدراسة حيث يبين الله تعالى أن من كفر بما أنزل ضل ضلالاً بعيداً، ومن أمعن في كفره لا يغفر له ولا يهديه سبيلاً.. وأن الله جامع المستهزئين والكافرين والمنافقين في جهنم جميعاً، وفي هذا تهديد لمن لم يتم عدل الله كفراناً له أو إعراضاً عنه أو إصرارً على عدم إقامته فحاله هو حال هؤلاء جميعاً.

ومن هذه التذييلات قول الله تعالى: ﴿وَمَن يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا﴾ وردت في الإيمان بما أنزل وعدم الكفر به، وقوله: ﴿لَّمْ يَكُنِ اللَّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ سَبِيلًا﴾، وقوله: ﴿فَإِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا﴾، وقوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ جَامِعُ الْمُنَافِقِينَ وَالْكَافِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعًا﴾[1].

بهذه تتضح أهمية القاعدة « فقه مساقات النصوص المصدرية –لاسيما القرآن الكريم–» للمنهج الوصفي في فهم دلالات النص المصدرية المتعلقة بوصف السنن أو الظواهر الإنسانية والكونية وكذا دلالات الوصف بصورة عامة.

ثالثاً: معرفة أسباب النزول وورود الأحاديث:

تمثل هذه القاعدة ركيزة منهجية لمنهج الدعوة الوصفي، ومنطلقاً أساسياً

(١) سورة النساء: ١٣٦ – ١٤٠.

لفهم دلالات المنهج الوصفي ف مصادر الدعوة النصية، فمعرفة أسباب النزول تضفي على الحدث التاريخي أو الظواهر والسنن الكونية والإنسانية الواردة في القرآن الكريم إضاءات تساعد على الفهم الدقيق لتلك القضايا وتوليد دلالات وصفية في العقول تثري عملية الإدراك الواعي في كشف دلالات النصوص المصدرية وتميط اللثام عن كوامن المعاني المستقرة بين ثناياها والكائنة في تراكيبها اللغوية وأساليبها البيانية، كما أن معرفة أسباب ورود الأحاديث النبوية تساعد على ذلك أيضاً، فتكشف جوانب الأحداث التي تشتمل عليها روايات السنة الشريفة، وهذه لازمة من لوازم المنهجية لإثراء العمل الدعوي وتحقيق فاعلية الأداء في الحركة الدعوية.

مثال توضيحي:

يقول الله تعالى في سورة الأنفال واصفاً حال المؤمنين في معركة بدر الفاصلة في تاريخ الإسلام والمسلمين ضد المتآمرين من الكفار والمشركين ومن عاونهم في محاولة لاستئصال المسلمين والقضاء على الإسلام – يقول تعالى: ﴿كَمَآ أَخۡرَجَكَ رَبُّكَ مِنۢ بَيۡتِكَ بِٱلۡحَقِّ وَإِنَّ فَرِيقٗا مِّنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ لَكَٰرِهُونَ ٥ يُجَٰدِلُونَكَ فِي ٱلۡحَقِّ بَعۡدَمَا تَبَيَّنَ كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى ٱلۡمَوۡتِ وَهُمۡ يَنظُرُونَ ٦ وَإِذۡ يَعِدُكُمُ ٱللَّهُ إِحۡدَى ٱلطَّآئِفَتَيۡنِ أَنَّهَا لَكُمۡ وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيۡرَ ذَاتِ ٱلشَّوۡكَةِ تَكُونُ لَكُمۡ وَيُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُحِقَّ ٱلۡحَقَّ بِكَلِمَٰتِهِۦ وَيَقۡطَعَ دَابِرَ ٱلۡكَٰفِرِينَ ٧ لِيُحِقَّ ٱلۡحَقَّ وَيُبۡطِلَ ٱلۡبَٰطِلَ وَلَوۡ كَرِهَ ٱلۡمُجۡرِمُونَ ٨ إِذۡ تَسۡتَغِيثُونَ رَبَّكُمۡ فَٱسۡتَجَابَ لَكُمۡ أَنِّي مُمِدُّكُم بِأَلۡفٖ مِّنَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ مُرۡدِفِينَ ٩ وَمَا جَعَلَهُ ٱللَّهُ إِلَّا بُشۡرَىٰ وَلِتَطۡمَئِنَّ بِهِۦ قُلُوبُكُمۡۚ وَمَا ٱلنَّصۡرُ

إِلَّا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿١٠﴾ إِذْ يُغَشِّيكُمُ ٱلنُّعَاسَ أَمَنَةً مِّنْهُ وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً لِّيُطَهِّرَكُم بِهِۦ وَيُذْهِبَ عَنكُمْ رِجْزَ ٱلشَّيْطَٰنِ وَلِيَرْبِطَ عَلَىٰ قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ ٱلْأَقْدَامَ ﴿١١﴾ إِذْ يُوحِى رَبُّكَ إِلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ أَنِّى مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا۟ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ۚ سَأُلْقِى فِى قُلُوبِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلرُّعْبَ فَٱضْرِبُوا۟ فَوْقَ ٱلْأَعْنَاقِ وَٱضْرِبُوا۟ مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ ﴿١٢﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ شَآقُّوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ ۚ وَمَن يُشَاقِقِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَإِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿١٣﴾ ذَٰلِكُمْ فَذُوقُوهُ وَأَنَّ لِلْكَٰفِرِينَ عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿١٤﴾ (١).

دلالات المنهج الوصفي في الآيات الكريمة:

إن عناصر الحدث الوصفية في هذه الآيات الكريمة ودلالاتها بارزة تماماً في سياق النسق القرآني تكشف مخالجات الخواطر حيث تبين مخاوف فريق من المؤمنين من القتال في غزوة فاصلة في تاريخ الإسلام هي غزوة بدر الكبرى ومجادلتهم رسول الله (ﷺ) وسبب نزول هذه الآية الكريمة: « أن الله تعالى لما وعد المؤمنين إحدى الطائفتين والعير والنفير رغبوا في العير لما فيها من الغنيمة والسلامة من القتال.. وجاءت مجادلتهم لما أمرهم الله بالقتال، وفات العير، ولم يكن معهم كثير أهبة لذلك شق عليهم وقالوا للرسول (ﷺ): لو أخبرتنا بالقتال لأخذنا العدة وأكملنا الأهبة » (٢) ويصور القرآن الكريم حالتهم النفسية وهم خارجون إلى القتال كارهين له مخافة القتل

(١) سورة الأنفال: ٥ – ١٤.

(٢) فتح القدير للإمام الشوكاني جـ ٢ ص ٣٦٥ دار الحديث – القاهرة ١٤٢٣ هـ – ٢٠٠٣ م.

كمن يساق إلى الموت وهو « مشاهد لأسباب قتله ناظر إليها » [1] هذا التصور البديع لمخالجات الخواطر والحذر الشديد من الموت الذي كأنهم يشاهدون أسبابه.

ومما ورد عن الرسول (ﷺ) في سبب نزول هذه الآية ﴿كَمَآ أَخۡرَجَكَ رَبُّكَ مِنۢ بَيۡتِكَ بِٱلۡحَقِّ وَإِنَّ فَرِيقٗا مِّنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ لَكَٰرِهُونَ ٥﴾ ما ذكره البيهقي في الدلائل عن أبي أيوب الأنصاري قال: قال لنا رسول الله (ﷺ) ونحن بالمدينة وبلغه أن عير أبي سفيان قد أقبلت فقال: « ما ترون فيها لعل الله يغنمناها ويسلمنا » فخرجنا فلما سرنا يوما أو يومين أمرنا رسول الله (ﷺ) أن نتعاد ففعلنا فإذا نحن ثلاثمائة وثلاثة عشر (٣١٣)[2] فأخبرنا النبي (ﷺ) بعدتنا فَسُر بذلك وحمد الله وقال: « عدة أصحاب طالوت » فقال: « ما ترون في قتال القوم فإنهم قد أخبروا بمخرجكم » فقلنا يا رسول الله: لا والله ما لا لنا طاقة بقتال القوم إنما خرجنا للعير. ثم قال: « ما ترون في قتال القوم » فقلنا مثل ذلك. فقال المقداد لا تقولوا كما قال قوم موسى لموسى ﴿فَٱذۡهَبۡ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَٰتِلَآ إِنَّا هَٰهُنَا قَٰعِدُونَ﴾[3] فأنزل الله ﴿كَمَآ أَخۡرَجَكَ رَبُّكَ مِنۢ بَيۡتِكَ بِٱلۡحَقِّ﴾ إلى قوله: ﴿وَإِذۡ يَعِدُكُمُ ٱللَّهُ إِحۡدَى ٱلطَّآئِفَتَيۡنِ أَنَّهَا لَكُمۡ﴾، فلما وعدنا الله إحدى الطائفتين إما القوم وإما العير طابت أنفسنا ثم إنا اجتمعنا مع القوم فضعفنا، فقال رسول الله (ﷺ): « اللهم إني انشدك وعدك »

(١) المرجع السابق نفسه.

(٢) إن ثمة روايات أخرى تذكر العدد بثلاثمائة وسبعة عشر رجلا.

(٣) سورة المائدة: ٢٤.

فقال ابن رواحة: يا رسول الله إني أريد أن أشير عليك ورسول الله (ﷺ) أفضل من أن يشير عليه، إن الله أجل وأعظم من أن تنشده وعده، فقال: « يا ابن رواحة لأنشدن الله وعده فإن الله لا يخلف المعياد » فأخذ قبضة من التراب فرمى بها رسول الله (ﷺ) في وجوه القوم فانهزموا، فأنزل الله ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ﴾ فقتلنا وأسرنا، فقال عمر: يا رسول الله ما أرى أن يكون لك أسرى فإنما نحن داعون مؤلفون، فقلنا: « يا معشر الأنصار إنما يحمل عمر على ما قال حسد لنا، فنام رسول الله (ﷺ) ثم استيقظ فقال: « ادعوا لي عمر » فدعى له فقال: « إن الله قد أنزل على ﴿مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَكُونَ لَهُۥٓ أَسْرَىٰ حَتَّىٰ يُثْخِنَ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ »[1].

وواضح من الآيات الكريمة وورود الحديث الشريف أن ثمة أهمية كبرى لمعرفة أسباب النزول وأسباب ورود الحديث الشريف ولمعرفة أثرهما في معرفة عناصر دلالات الوصف في المصادر النصية والتي تكشف جوانب كثيرة من ترابط النسيج الدلالي بين القرآن الكريم والسنة الشريفة في وصف الحدث وتصوير الحالة النفسية من الرغبات والأماني ومخالجات الخواطر وتصوير حالة فريق من المؤمنين كان يأمل في الحصول على وعد الله

(١) المرجع السابق ص ٣٦٦، وقد أورد الشوكاني روايات أخرى أقوى من هذه الرواية فليرجع إليها.. إنما يكفينا هنا معرفة ورود الحديث في سبب نزول الآيات الكريمة وليس بها فقرة « فقال عمر: يا رسول الله ما أرى أن يكون لك أسرى فإنما نحن داعون مؤلفون... »، وذكر الشوكان مقالات علماء الجرح والتعديل وذكر أن في سنده ابن لهيعة. لكن مجمل الروايات تتفق على ما دون هذه العبارة عن عمر (رضي الله عنه) وقول ابن رواحة.

بطائفة الغنائم دون طائفة « الشوكة » أي القتال، على توجس وخوف من القتال حتى صورهم القرآن تصويراً حركياً حسياً يقرب حالهم من الواقع المشاهد بالفعل، فكأنهم يساقون إلى الموت وهم ينظرون الأسباب التي من الممكن أن يموتوا بها.

والقارئ لهذه الآيات الكريمة في أضواء دلالات الوصف الباهرة كأنه يشاهد – بعد أربعة عشر قرناً – المعركة وتمهيداتها ويعيش أجواءها ويشاهد الحوارات الدائرة فيها، وينظر تلك الحالات لفريق من المؤمنين بتوراتها النفسية وعناصر الحدث الواقعية، حتى لكأنه ينظر إلى تلك الوقائع وهي تحدث مشهداً مشهداً، وفصلاً فصلاً.

والقرآن الكريم والسنة الشريفة مترعان بالشواهد التي تستغرف الوصف دلالة منهجية وصوراً وصفية ومفردات موضوعية، بيد أننا نكتفي هنا بهذا المثال ونحيل القارئ إلى غيره لمزيد من الإيضاح والفقه.

رابعاً: فهم مقتضيات الحكمة الإلهية في الوصف:

إن فهم طبيعة وعناصر صور الوصف في النصوص المصدرية – لاسيما القرآن الكريم – ضروري لفهم دلالات منهجية الوصف الواردة فيها من حيث ما يلي:

١– أن القرآن ليس مجرد كتاب يعني بوصف الواقع أو ينحته نحتاً وفق مفهوم الواقعية في العمل الروائي في أروقة الأدب « وصالونات » الثقافة في العصر الحديث.. فهو منزه عن هذا لما يلي:

أ– أنه كلام رب العالمين وتنزيل من حكيم حميد.

ب– أن دلالات الوصف فيه لا تقف عند مجرد الوصف الظاهر

للأحداث فحسب، وإنما يقترن بذلك وصف الباطن، أي ما هو مستكن ومستتر في النفوس مختبئ في الصدور لا يطلع عليه إلا الله تعالى، يدل على هذا قول الله تعالى: ﴿ يَحْذَرُ الْمُنَافِقُونَ أَن تُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ سُورَةٌ تُنَبِّئُهُم بِمَا فِي قُلُوبِهِمْ ۚ قُلِ اسْتَهْزِئُوا إِنَّ اللَّهَ مُخْرِجٌ مَّا تَحْذَرُونَ ﴿٦٤﴾ وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ ۚ قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ ﴿٦٥﴾ لَا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ ۚ إِن نَّعْفُ عَن طَائِفَةٍ مِّنكُمْ نُعَذِّبْ طَائِفَةً بِأَنَّهُمْ كَانُوا مُجْرِمِينَ ﴿٦٦﴾ ﴾[1]، فالله تعالى العليم بما أخفوه وستروه في نفوسهم ولم يطلعوا عليه أحداً من خلقه.. الخبير بأفعالهم الظاهرة ودوافعها ومقاصدها. ولم لا وقد قال الله تعالى: ﴿ وَأَسِرُّوا قَوْلَكُمْ أَوِ اجْهَرُوا بِهِ ۖ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿١٣﴾ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴿١٤﴾ ﴾[2]، ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُ ۖ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ ﴿١٦﴾ ﴾[3].

أما القصاصون والروائيون فلا يعلمون إلا ظاهراً من الحدث، ولا يمكن لأحدهم أن يخترق نفس الإنسان وصدره ليقف على ما لم يظهره له، فوصفهم لا يتعدى حد الظواهر الحدثية والوقائع التاريخية المشاهدة والمحسوسة مع أن افتراض غياب أطراف من عناصر الحقيقة الظاهرة في الأحداث الحسية عنهم أمر وارد باعتبار قصورهم الإدراكي.. وقد يُخفى

(١) سورة التوبة: ٦٤ – ٦٦.

(٢) سورة الملك: ١٣، ١٤.

(٣) سورة ق: ١٦.

عنهم بعض عناصر الحدث، أو يُلبَّس أو يُدلَّس عليهم فيه ﴿ وَلِلَّهِ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾.

ج- أن دلالات الوصف في آي القرآن الكريم وروايات السنة الصحيحة الثابتة لا تتمحض لمجرد السرد التاريخي لعناصر الحدث ووصف الظواهر والأحوال والمآلات وإنما تخلص للعبرة والعظة ﴿ لَقَدْ كَانَ فِى قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ۗ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ ٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿١١١﴾ ﴾[1] فليس القرآن الكريم سجلاً تاريخياً، وإنما هو كتاب تعبدنا الله تعالى به.

د- لا أحد يعلم مآلات الأحداث ومصائرها إلا الله تعالى لأنها غيب مطلق لا يطلع عليه أحد، ولا يرقى إليه مخلوق، من ثم تأتي دلالات الوصف في القرآن الكريم لتفتق كل قيود الحس الظاهر ومجاهيل الزمن في الاستقبال، لتضرب في الغيب المطلق، وتنبئ بمصير عناصر الحدث الفاعلة المؤثرة المحدثة له « الإنسان وغيره »، قال الله تعالى في بيان مصير من كفر: ﴿ قُلْ تَمَتَّعْ بِكُفْرِكَ قَلِيلًا ۖ إِنَّكَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلنَّارِ ﴾[2]، ﴿ حِكْمَةٌۢ بَٰلِغَةٌ ۖ فَمَا تُغْنِ ٱلنُّذُرُ ﴿٥﴾ فَتَوَلَّ عَنْهُمْ ۘ يَوْمَ يَدْعُ ٱلدَّاعِ إِلَىٰ شَىْءٍ نُّكُرٍ ﴿٦﴾ خُشَّعًا أَبْصَٰرُهُمْ يَخْرُجُونَ مِنَ ٱلْأَجْدَاثِ كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُّنتَشِرٌ ﴿٧﴾ مُّهْطِعِينَ إِلَى ٱلدَّاعِ ۖ يَقُولُ ٱلْكَٰفِرُونَ هَٰذَا يَوْمٌ

(١) سورة يوسف: ١١١.

(٢) سورة الزمر: ٨.

عَسِرٌ ﴿٨﴾ ﴾[1]، ﴿وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ ﴾[2].

وهذه مقتضيات الحكمة الإلهية في دلالات الوصف الحكمية في القرآن الكريم وفقهها قاعدة من قواعد منهج الدعوة الوصفي، ولغيابها عن العمل الدعوي أثر كبير على فهم عناصر الحدث الوصفية في نصوص الدعوة المصدرية.

خامساً: القياسات العقلية والحسية:

للقياس العقلي والحسي أهمية كبيرة لفهم دلالات منهج الدعوة الوصفي في النصوص المصدرية للدعوة الإسلامية – لاسيما آيات القرآن الكريم – وإذا القياس العقلي يُعنى بقياس الصور المعنوية « الفكرية » المعقولة، فإن القياس الحسي يعنى به قياس السنن والظواهر الإنسانية وغيرها من حيث قياس تصورات الحس الظاهرة لحدث ألم بأمة من الأمم أو عقاب نزل بها على ما حدث لأمة أخرى سابقة لها في الوجود وللقياسين المعنوي والحسي في هذه الظواهر أهمية كبرى لاستشراف مستقبل الأمم إذا تشابهت في العلل النزوعية التي كانت سبباً في إنزال العقاب، وهي مخالفة المنهج الإلهي وتكذيب الأنبياء والمرسلين وإنكار رسالاتهم إلى أقوامهم، مع مراعاة فوارق خصائص دعوة كل رسول من حيث الخصوص والعموم، والمرحلية والخاتمية، ودليل ذلك قول الله تعالى: ﴿ ۞ أَفَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ

(١) سورة القمر: ٥ – ٨.

(٢) سورة فاطر: ١٤.

عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۚ دَمَّرَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِمۡۖ وَلِلۡكَٰفِرِينَ أَمۡثَٰلُهَا ﴿١٠﴾.

وصورتا القياس الوصفي في هذه الآية الكريمة بنوعيها الحسي والعقلي وعلل النزوع تتمثل فيما يلي:

١- دلالات الوصف الحسي بتدمير السابقين بإهلاك المكان والشخوص ﴿دَمَّرَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِمۡۖ﴾.

٢- دلالات الوصفي العقلي « المعنوي » لحالات الأمم السابقة من حيث فساد الاعتقاد وانحراف السلوك وفساد الذوق العام،وانحطاط الأخلاق لديهم دلالات يحتويها العقل ويستوعبها ويحللها ويستل منها صور الانحراف الواصفة للحدث ليسوغ منها مقدمات ويستخلص منها نتائج لازمة عنها بالضرورة متعلقة بكفر الكافرين وعناد المعاندين وافتراءات المتضادين.

٣- دلالات وصف العلل النزوعية: وهذه الصورة الوصفية تضاف إلى الصورتين السابقتين، وأعني بها دلالات أسباب النزوع إلى عدم الإيمان بالأنبياء والرسل (ﷺ)، والتي مثلت ظاهرة إنسانية كارثية في تاريخ الأمم، ومنها ما يلي:

أ- الاستكبار والعناد.

ب- الخوف من فوت منفعة أو وجاهة أو سلطة.

ج- معوقات الإدراك.

د- سطوة الملأ « الطبقة القوية » في المجتمعات الإنسانية المؤثرة بقوة في تشكيل العقل الجمعي « عقل عامة الناس » وسوْقه إلى معتقاداتهم والنتيجة إهلاك الكافرين الحاليين « كفار مكة وغيرهم » بكفرهم قياساً على إهلاك السابقين بسبب كفرهم.

وفي القرآن الكريم آيات كثيرة تتساوق معنوياً مع هذه الآية الكريمة في وصف دلالات الحدث بعناصرها الثلاثة، ومن هذه الآيات الكريمة ما يلي:

* قل الله تعالى في قصة نوح (عليه السلام): ﴿قَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِهِۦٓ إِنَّا لَنَرَىٰكَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٦٠﴾﴾[1] إلى قوله تعالى: ﴿ فَكَذَّبُوهُ فَأَنجَيْنَٰهُ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥ فِى ٱلْفُلْكِ وَأَغْرَقْنَا ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَآ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمًا عَمِينَ ﴿٦٤﴾﴾[2].

* وقوله تعالى في قصة هود (عليه السلام): ﴿ قَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦٓ إِنَّا لَنَرَىٰكَ فِى سَفَاهَةٍ وَإِنَّا لَنَظُنُّكَ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٦٦﴾﴾[3] إلى قوله تعالى: ﴿ فَأَنجَيْنَٰهُ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَقَطَعْنَا دَابِرَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا ۖ وَمَا كَانُوا۟

(١) سورة الأعراف: ٦٠.

(٢) سورة الأعراف: ٦٤.

(٣) سورة الأعراف: ٦٦.

مُؤْمِنِينَ ﴿٧٢﴾ ﴾[1].

* وقوله تعالى في قصة صالح (عليه السلام): ﴿ قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِن قَوْمِهِ لِلَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا لِمَنْ آمَنَ مِنْهُمْ أَتَعْلَمُونَ أَنَّ صَالِحًا مُرْسَلٌ مِّن رَّبِّهِ قَالُوا إِنَّا بِمَا أُرْسِلَ بِهِ مُؤْمِنُونَ ﴿٧٥﴾ قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا بِالَّذِي آمَنتُمْ بِهِ كَافِرُونَ ﴿٧٦﴾ ﴾[2] إلى قوله تعالى: ﴿ فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جَاثِمِينَ ﴿٧٨﴾ ﴾[3].

* وقوله تعالى في قصة لوط (عليه السلام): ﴿ وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ الْعَالَمِينَ ﴿٨٠﴾ إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِّن دُونِ النِّسَاءِ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ ﴿٨١﴾ وَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَن قَالُوا أَخْرِجُوهُم مِّن قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ ﴿٨٢﴾ فَأَنجَيْنَاهُ وَأَهْلَهُ إِلَّا امْرَأَتَهُ كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ ﴿٨٣﴾ وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِم مَّطَرًا فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُجْرِمِينَ ﴿٨٤﴾ ﴾[4].

* وقوله تعالى في قصة شعيب (عليه السلام): ﴿ قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِن قَوْمِهِ لَنُخْرِجَنَّكَ يَا شُعَيْبُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَكَ مِن قَرْيَتِنَا أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَا قَالَ أَوَلَوْ كُنَّا

(١) سورة الأعراف: ٧٢.

(٢) سورة الأعراف: ٧٥، ٧٦.

(٣) سورة الأعراف: ٧٨.

(٤) سورة الأعراف: ٨٠ – ٨٤.

كَٰرِهِينَ ﴿٨٨﴾﴾[1] وقوله تعالى ﴿ وَقَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦ لَئِنِ ٱتَّبَعْتُمْ شُعَيْبًا إِنَّكُمْ إِذًا لَّخَٰسِرُونَ ﴿٩٠﴾ فَأَخَذَتْهُمُ ٱلرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا۟ فِى دَارِهِمْ جَٰثِمِينَ ﴿٩١﴾﴾[2].

* وقوله تعالى في قصة موسى (عليه السلام): ﴿ وَقَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِ فِرْعَوْنَ أَتَذَرُ مُوسَىٰ وَقَوْمَهُۥ لِيُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَيَذَرَكَ وَءَالِهَتَكَ ۚ قَالَ سَنُقَتِّلُ أَبْنَآءَهُمْ وَنَسْتَحْىِۦ نِسَآءَهُمْ وَإِنَّا فَوْقَهُمْ قَٰهِرُونَ ﴿١٢٧﴾﴾[3].

وجاء القانون[4] العام لينظم الأمم الإنسانية وشعوبها من خلال سنن الله تعالى الإلهية في الرسالات والمرسلين والأقوام والأمم، وكذا الظواهر العقدية والفكرية والإنسانية، وكذا تنجية الله تعالى للمؤمنين الصابرين الصامدين على عقيدتهم مع أنبيائهم ورسلهم، وقد احتوت دلالات الوصف كل هذه المسارات بالصور الحسية والمعنوية والنزوعية.

قال تعالى: ﴿ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّقَوْا۟ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَٰتٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ وَلَٰكِن كَذَّبُوا۟ فَأَخَذْنَٰهُم بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿٩٦﴾ أَفَأَمِنَ أَهْلُ ٱلْقُرَىٰٓ أَن يَأْتِيَهُم بَأْسُنَا بَيَٰتًا وَهُمْ نَآئِمُونَ ﴿٩٧﴾ أَوَأَمِنَ أَهْلُ ٱلْقُرَىٰٓ أَن يَأْتِيَهُم بَأْسُنَا ضُحًى وَهُمْ يَلْعَبُونَ ﴿٩٨﴾ أَفَأَمِنُوا۟ مَكْرَ ٱللَّهِ ۚ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٩٩﴾ أَوَلَمْ يَهْدِ لِلَّذِينَ يَرِثُونَ ٱلْأَرْضَ مِنۢ بَعْدِ أَهْلِهَآ أَن لَّوْ نَشَآءُ أَصَبْنَٰهُم بِذُنُوبِهِمْ ۚ وَنَطْبَعُ عَلَىٰ

(١) سورة الأعراف: ٨٨.

(٢) سورة الأعراف: ٩٠ – ٩٢.

(٣) سورة الأعراف: ١٢٧.

(٤) إن صح وصف النظام بالقانون.

قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ﴿١٠٠﴾ [1].

وقد جمعت الآيات الكريمة في صورة وصفية دلالات الحس والعقل وقياس النزوعات والمآلات والمصير في إطار من الوصف العام لإيضاح سنن الله تعالى الثابتة الراسخة الظاهرة في كونه تعالى في حياة الأمم والشعوب بكل جوانبها العقدية والنفسية والاجتماعية والسياسية وغيرها [2].

سادساً: مراعاة مبدأ الثبات والإمكان والرصد.

ويقصد بهذه القاعدة من حيث شقها الأول « مبدأ الثبات » أي مراعاة اعتبار ثبات السنن الكونية والإنسانية بصورة لا تتخلف، أما من حيث شقها الثاني « الإمكان »، فأقصد به إمكان وقوع الظاهرة وتكررها، وأما الرصد فيقصد به إمكانية المتابعة للسنن والظواهر في إطار الرصد الدقيق لها مكاناً وزماناً وماهية.

وأنوه إلى أن السنن تحدث باضطراد وثبات، أما الظواهر فحدوثها لا يتسم بذات السمة إذ ليس من طبيعتها الثبات والاضطراد فهي واقعة في إطار « الإمكان » لأنها لو ثبتت واضطراد صارت سنة، وهذا هو الحد الفاصل بينها وبين السنن، وهذه القاعدة هامة لتحديد دلالات الوصف المنهجي الدعوي لخدمة قضايا الدعوة رصداً ووصفاً، وإثباتاً ونفياً، وتأييداً ومعارضة، ثم معالجة الإشكاليات التي تعترض اليقينيات والثوابت الدعوية

---

(١) سورة الأعراف: ٩٦ – ١٠٠.

(٢) يراجع في هذا المعنى في ظلال القرآن، سيد قطب جـ ٣ ص ١٣٣٦ – دار الشروق – بيروت – القاهرة، ط: ١٧ / ١٤١٢ هـ.

في إطار دحض الافتراءات ونقض الاعتراضات، وتوضيح فساد الاعتقاد وتصحيح مسارات السلوك والتعبد.

ومما يدل على أهمية هذه القاعدة في ميادين العمل الدعوي قول الله تعالى: ﴿وَقَضَيْنَآ إِلَىٰ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ فِى ٱلْكِتَٰبِ لَتُفْسِدُنَّ فِى ٱلْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا ﴿٤﴾ فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ أُولَىٰهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَّنَآ أُو۟لِى بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجَاسُوا۟ خِلَٰلَ ٱلدِّيَارِ ۚ وَكَانَ وَعْدًا مَّفْعُولًا ﴿٥﴾ ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ ٱلْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ وَأَمْدَدْنَٰكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَجَعَلْنَٰكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا ﴿٦﴾ إِنْ أَحْسَنتُمْ أَحْسَنتُمْ لِأَنفُسِكُمْ ۖ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا ۚ فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ ٱلْءَاخِرَةِ لِيَسُۥٓـُٔوا۟ وُجُوهَكُمْ وَلِيَدْخُلُوا۟ ٱلْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبِّرُوا۟ مَا عَلَوْا۟ تَتْبِيرًا ﴿٧﴾ عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يَرْحَمَكُمْ ۚ وَإِنْ عُدتُّمْ عُدْنَا ۘ وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَٰفِرِينَ حَصِيرًا ﴿٨﴾﴾[1].

دلالات تأصيل هذه القاعدة في الآيات الكريمة:

١- ثبات سنة الله تعالى الإنسانية في إهلاك الظالمين والمفسدين.

٢- ثبات سنة الله تعالى الإنسانية في رحمة المؤمنين وتنجيتهم.

٣- تكرر الظواهر الإنسانية وتكرر حدوث السنن الإلهية.

ويؤكد هذا قول الله تعالى: ﴿وَإِذَا جَآءَكَ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِـَٔايَٰتِنَا فَقُلْ سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ ۖ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ ۖ أَنَّهُۥ مَنْ عَمِلَ مِنكُمْ سُوٓءًۢا بِجَهَٰلَةٍ ثُمَّ تَابَ مِنۢ بَعْدِهِۦ وَأَصْلَحَ فَأَنَّهُۥ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٥٤﴾ وَكَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ وَلِتَسْتَبِينَ سَبِيلُ

(١) سورة الإسراء: ٤ – ٨.

﴿ٱلۡمُجۡرِمِينَ ٥٥﴾[1]، وقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَفۡتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلۡكَذِبَ لَا يُفۡلِحُونَ ١١٦ مَتَٰعٞ قَلِيلٞ وَلَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ ١١٧﴾[2].

وليس بخاف أن لهذه القاعدة المنهجية أثر كبير في فقه دلالات الوصف العام والخاص في مصادر الدعوة الإسلامية النصية، وفقه دلالات الأحداث بمكانها وزمانها وشخوصها ومقاصدها الواردة فيها وما تتضمنه من أقيسة واستنباطات.

وبهذا نكون قد انتهينا من بيان قواعد منهج الدعوة الوصفي في النصوص المصدرية للدعوة الإسلامية.. ومازال الباب مفتوحاً لمن أنعم الله عليه بالفقه الدقيق والفهم الصادق أن يضيف أو يؤصل أو يعدل فيها.

(١) سورة الأنعام: ٥٤، ٥٥.

(٢) سورة النحل: ١١٦، ١١٧.

المطلب الثاني
أساليب المنهج الوصفي في مصادر الدعوة النصية

لدلالات منهج الوصف في القرآن الكريم أساليب عدة لإبراز عناصر الحدث الوصفية كمبدأ لتقرير القضية الدعوية وإبطال نقيضها، وكذا بيان مقاصد دلالات الوصف الحدث[1]. ومن هذه الأساليب ما يلي:

١- **الإفراد:** وهو أسلوب نجد دلالاته في القرآن الكريم متعلقاً بحدث بعينه، أو بشخص بعينه، ومثاله قول الله تعالى: ﴿ أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَىٰ قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّىٰ يُحْيِي هَٰذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا ۖ فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِائَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ ۖ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ ۖ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ ۖ قَالَ بَل لَّبِثْتَ مِائَةَ عَامٍ فَانظُرْ إِلَىٰ طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ ۖ وَانظُرْ إِلَىٰ حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ آيَةً لِّلنَّاسِ ۖ وَانظُرْ إِلَى الْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا ۚ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ

(١) يراجع في استخلاص هذه الدلالات « مفاتيح الغيب » الإمام فخر الدين الرازي – دار إحياء التراث العربي – بيروت، ط: ثالثة ١٤٢٠ هـ، وروح المعاني، للإمام الآلوسي، تحقيق / علي الباري عطية – دار الكتب العلمية – بيروت، ط: أولى ١٤١٥، وإرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، لأبي السعود – دار إحياء التراث العربي – بيروت، وأضواء البيان، للشنقيطي – دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع – بيروت – لبنان ١٤١٥ هـ – ١٩٩٥، وتفسير المنار، لـ محمد رشيد رضا – الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٩٠م، وفي ظلال القرآن، سيد قطب – مرجع سابق، وغيرها من أمهات المصادر في علم التفسير.

كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٥٩﴾ ﴾[1].

ومثاله أيضاً: ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِ الْمَوْتَىٰ ۖ قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن ۖ قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي ۖ قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ اجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا ۚ وَاعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٦٠﴾ ﴾[2] ومن أمثلة ذلك أيضاً قصة السيدة مريم (عليها السلام)، ومؤمن آل فرعون.. وقارون، وغيرهم كثيرون.

٢- **التثنية:** ويقصد به سوق دلالات الحدث في صورة وصفية بين طرفين في حوار أو قصة، ومثاله قول الله تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ ۖ قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ ۗ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿٢٥٨﴾ ﴾[3]، ومثاله أيضاً صاحبا الجنتين في القرآن الكريم ودلالات وصف عناصر الحدث في قصتها في سورة الكهف.. ونظيره في القرآن الكريم كثير.

٣- **الجمع:** ويقصد به ذكر دلالات وصف الحدث لقوم بعينهم أو وصف خصائص أمة من الأمم أو بيان اعتقاداتهم وأخلاقهم وسلوكهم. وفيما سبق سوق من آيات في المطالب السابقة ما يدل على هذا كذكر دلالات

---

(١) سورة البقرة: ٢٥٩.

(٢) سورة البقرة: ٢٦٠.

(٣) سورة البقرة: ٢٥٨.

الحدث الوصفية في قصة قوم نوح، وقوم هود، وقوم صالح، وأصحاب مدين، وقوم شعيب، ونظير ذلك في القرآن الكريم كثير.

٤- **التصريح:** وأقصد به ما جاء من سوق دلالات عناصر الحدث الوصفية في القرآن الكريم بصورة صريحة على نحو ما جاء بالنماذج السابقة كوصف استقامة الاعتقاد وسلامته وانحراف الاعتقاد والسلوك وفساد الأخلاق والذوق العام، أو الخاص.

٥- **التضمين:** وأقصد به ما جاء من سوق دلالات الحدث بأوصاف ضمنية لا تصريحية على سبيل التشبيه والتمثيل والاستعارات، ويقصد به ذكر أوصاف بعينها ليست لأصحابها حقيقة لأنها ليست من طبيعتها، كخلع أوصاف مادية بحتة أو حيوانية أو جمادية بهدف إبراز حالهم.. ومن أمثلة ذلك قول الله تعالى في وصف قلوب اليهود: ﴿ ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ فَهِيَ كَٱلْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً ۚ وَإِنَّ مِنَ ٱلْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ ٱلْأَنْهَٰرُ ۚ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ ٱلْمَآءُ ۚ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٧٤﴾ ﴾[1]. ومنها حال المنافقين في قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ ۖ وَإِن يَقُولُوا۟ تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ ۖ كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُّسَنَّدَةٌ ۖ يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ ۚ هُمُ ٱلْعَدُوُّ فَٱحْذَرْهُمْ ۚ قَٰتَلَهُمُ ٱللَّهُ ۖ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٤﴾ ﴾[2]. ومنها وصف حال المعرضين عن دعوة

(١) سورة البقرة: ٧٤.

(٢) سورة المنافقين: ٤٠.

الحق بالحمر المستنفرة ﴿كَأَنَّهُمْ حُمُرٌ مُّسْتَنفِرَةٌ ﴿٥٠﴾ فَرَّتْ مِن قَسْوَرَةٍ ﴿٥١﴾﴾[1].

٦- **المقارنة:** وأقصد بها مقارنات الأوصاف والأحوال والطباع، ومنها قول الله تعالى: ﴿إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿٦٠﴾ لِمِثْلِ هَٰذَا فَلْيَعْمَلِ الْعَامِلُونَ ﴿٦١﴾ أَذَٰلِكَ خَيْرٌ نُّزُلًا أَمْ شَجَرَةُ الزَّقُّومِ ﴿٦٢﴾ إِنَّا جَعَلْنَاهَا فِتْنَةً لِّلظَّالِمِينَ ﴿٦٣﴾ إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِي أَصْلِ الْجَحِيمِ ﴿٦٤﴾ طَلْعُهَا كَأَنَّهُ رُءُوسُ الشَّيَاطِينِ ﴿٦٥﴾ فَإِنَّهُمْ لَآكِلُونَ مِنْهَا فَمَالِئُونَ مِنْهَا الْبُطُونَ ﴿٦٦﴾ ثُمَّ إِنَّ لَهُمْ عَلَيْهَا لَشَوْبًا مِّنْ حَمِيمٍ ﴿٦٧﴾ ثُمَّ إِنَّ مَرْجِعَهُمْ لَإِلَى الْجَحِيمِ ﴿٦٨﴾ إِنَّهُمْ أَلْفَوْا آبَاءَهُمْ ضَالِّينَ ﴿٦٩﴾ فَهُمْ عَلَىٰ آثَارِهِمْ يُهْرَعُونَ ﴿٧٠﴾﴾[2].

٧- **المطابقة:** وأقصد بها مطابقة أحوال الأمم في الصفات والمنازع والأحداث وغيرها. ومثاله قول الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ ضَلَّ قَبْلَهُمْ أَكْثَرُ الْأَوَّلِينَ ﴿٧١﴾﴾[3] ومنها قوله تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ مَا أَتَى الَّذِينَ مِن قَبْلِهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا قَالُوا سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ ﴿٥٢﴾ أَتَوَاصَوْا بِهِ ۚ بَلْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ ﴿٥٣﴾﴾[4].

ولا يخفى ما لفقه هذه الأساليب من أهمية كبيرة في تطبيقات دلالات المنهج الوصفي في العمل الدعوي.

---

(١) سورة المدثر: ٥٠، ٥١.

(٢) سورة الصافات: ٦٠ – ٧٠.

(٣) سورة الصافات: ٧١.

(٤) سورة الذاريات: ٥٢، ٥٣.

المصادر والمراجع

١- القرآن الكريم.
٢- صحيح البخاري، تحقيق / محمد زهير بن ناصر الناصر – دار طوق النجاة، ط: أولى ١٤٢٢ هـ.
٣- فح القدير للإمام الشوكاني – دار الحديث – القاهرة ١٤٢٣هـ – ٢٠٠٣ م.
٤- في ظلال القرآن، سيد قطب – دار الشروق – بيروت – القاهرة، ط: ١٧ / ١٤١٢ هـ.
٥- مفاتيح الغيب، الإمام فخر الرازي – إحياء التراث العربي – بيروت، ط: ثالثة ١٤٢٠ هـ.
٦- روح المعاني، الإمام الآلوسي، تحقيق / علي عبد الباري عطية – دار الكتب العلمية – بيروت، ط: أولى ١٤١٥ هـ.
٧- إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، للإمام أبي السعود – دار إحياء التراث العربي – بيروت.
٨- أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، للشنقيطي – دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع – بيروت – لبنان ١٤١٥ هـ – ١٩٩٥ م.
٩- تفسير المنار، محمد رشيد رضا – الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٩٠ م.

فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة
المقدمة	٣
منهج الدعوة الوصفي	٥
المطلب الأول	٧
مفهوم منهج الدعوة الوصفي وقواعده	٧
أولاً: مفهوم المنهج الوصفي	٧
ثانياً: قواعد منهج الدعوة الوصفي	٧
أولاً: فقه مفردات اللغة وطرق البيان في القرآن	٨
ثانياً: فهم مساقات النصوص المصدرية	١١
ب- دلالات المنهج الوصفي في تذييلات الآيات السابقة لهذه الآية	١٦
ج- دلالات المنهج الوصفي في تذييلات الآيات اللاحقة لهذه الآية محل الدراسة	١٨
ثالثاً: معرفة أسباب النزول وورود الأحاديث	١٩
مثال توضيحي	١٩
دلالات المنهج الوصفي في الآيات الكريمة	٢٠
رابعاً: فهم مقتضيات الحكمة الإلهية في الوصف	٢٣
خامساً: القياسات العقلية والحسية	٢٦

سادساً: مراعاة مبدأ الثبات والإمكان والرصد	٣١
دلالات تأصيل هذه القاعدة في الآيات الكريمة	٣٢
المطلب الثاني	٣٤
أساليب المنهج الوصفي في مصادر الدعوة النصية	٣٤
١- الإفراد	٣٤
٢- التثنية	٣٥
٣- الجمع	٣٥
٤- التصريح	٣٦
٥- التضمين	٣٦
٦- المقارنة	٣٧
٧- المطابقة	٣٧
فهرس المصادر والمراجع	٣٨
فهرس الموضوعات	٣٩

جامعة الأزهر
كلية أصول الدين
والدعوة الإسلامية بالمنوفية

منهج الدعوة الوصفي

« دراسة تأصيلية »

تأليف

الأستاذ الدكتور

أحمد إسماعيل أبو شنب

أستاذ الدعوة والثقافة الإسلامية
بكلية أصول الدين والدعوة الإسلامية بطنطا

مستلة من

حولية كلية أصول الدين والدعوة بالمنوفية
العدد الرابع والثلاثون، لعام ١٤٣٥- ١٤٣٦هـ/٢٠١٤ - ٢٠١٥م
والمودعة بدار الكتب تحت رقم ٢٠١٥/٦١٥٧

دار الأندلس للطباعة-أمام كلية الهندسة-عمارات الزراعيين-شبين الكوم ت ٠٤٨٢٢٢٢٠٩٠